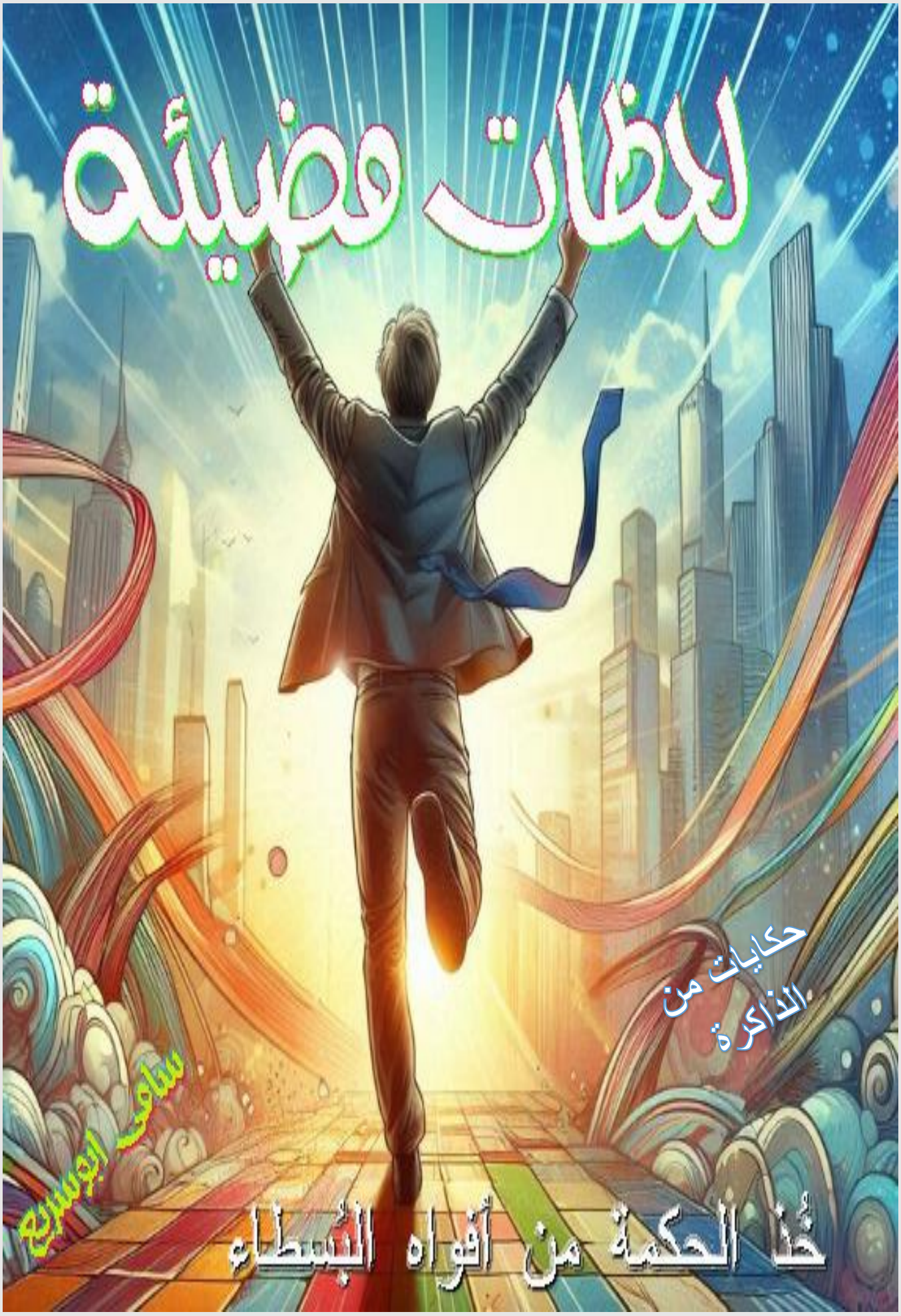
لحظات مضيئة
حكايات من الذاكرة
سامي ابوسريع
خُذ الحكمة من أفواه البُسطاء

إضاءة

تبرز لحظات بسيطة قد تبدو عابرة، لكنها تحمل في طياتها قوة غير متوقعة لتغيير مسارات الحياة.

هذا الكتاب، لحظات مضيئة، هو رحلة عبر قصص أناس بسطاء، عاشوا تجارب استثنائية، وأثبتوا أن الشخصية القوية لا تُقاس بالمظاهر أو النجاح المادي، بل بتلك اللحظات التي تشكلت فيها قلوبهم وعقولهم.

كل قصة هنا تروي حكاية شخص تأثر بلحظة معينة، تلك اللحظة التي كانت بمثابة الشرارة التي أضاءت طريقه.

هؤلاء الأشخاص، الذين قد لا يعرفهم الكثيرون، يمثلون روح الإنسانية، ويظهرون لنا كيف يمكن لتجربة واحدة، مهما كانت صغيرة، أن تترك أثراً عميقاً في النفس.

ستكتشفون في صفحات هذا الكتاب كيف أن الحكمة تأتي في أشكال متعددة، من ابتسامة عابرة، أو نصيحة بسيطة، أو حتى قرار جريء اتخذ في لحظة من الشجاعة.

لحظات مضيئة هي دعوة للتأمل في تجارب الآخرين، واستلهام الدروس التي يمكن أن تغيرنا نحن أيضاً.

لنستعد لاستكشاف هذه الحكايات الملهمة، ولنستمد منها الإلهام لنضيء حياتنا بلحظاتنا الخاصة.

الحياة لا ولن تكتمل لأحد.

في زاوية غرفته التي بدت وكأنها تشاركه وحدته، جلس يتأمل جدرانها الباهتة. كانت عيناه تحملان عبء الأيام التي مضت، مثقلتين بتلك اللحظات التي

عجز فيها عن المضي قدمًا.

كان يعتقد دائمًا أن عليه أن يكون بلا أخطاء، أن يمشي فوق حبل الحياة

الرفيع دون أن يتعثر.

لكنه اليوم، لأول مرة، توقف.

لا لكي يجلد ذاته كما اعتاد، بل لكي يسأل نفسه:

لماذا هذا العبء؟

كانت أخطاؤه تتراكم في ذهنه كما تتراكم الأوراق على طاولة غير مرتبة، وكل واحدة منها حملت معها درسًا لم ينتبه إليه.

لكنه كان دائماً مشغولاً باللوم والعتاب لذاته.

اللوم الذي كان يطارده في كل خطوة، كظل لا يفارقه حتى في أعمق

لحظاته سكونًا.

لام نفسه على كل كلمة قالها، على كل تصرف قام به دون أن يفكر، وكأنه كان عليه أن يكون في حالة كمال مطلقة.

مرت عليه الأيام كأنها سباق لا نهاية له، وهو يحاول اللحاق بصورته المثالية التي رسمها في مخيلته، صورة لا تعترف بأن الإنسان بطبيعته مليء بالهفوات. حتى أدرك، وسط فوضى مشاعره، أن الحياة لا ولن تكتمل لأحد.

الحياة هي القدرة على السقوط والنهوض، هي فرصة التعلم من كل زلة.

تذكر كلمات كان يرددها:

السفينة لا تغرق من الماء حولها، بل من الماء الذي يدخل فيها.

كان ذلك المعنى دائماً ما ينساه، لكنه الآن أصبح واضحًا كالشمس

في السماء الصافية.

أخطاؤه ليست هي ما ستغرقه، بل طريقة تعامله معها.

ما كان عليه سوى أن يترك هذا "الماء" يمر دون أن يُغرق سفينته.

في تلك اللحظة، شعر بالهدوء لأول مرة.

كأنه حِمل أُزيح عن كاهله.

لم يعد بحاجة إلى أن يكون مثاليًا، ولم يعد يرى في أخطائه أحجارًا ثقيلة تسحبه نحو الأسفل.

بدلاً من ذلك، أصبحت تلك الأخطاء خطواته على السلم الذي يصعد به نحو حياة أكثر وعيًا ونضجًا.

لم يكن بحاجة إلى أن يلقي اللوم على نفسه بعد اليوم.

لقد فهم الآن أن الإنسان ليس مخلوقًا للكمال، بل للبحث الدائم عن التطور، وأن أكبر أخطائه كانت عدم التسامح مع ذاته.

حين توقفت البوصلة

بدأ حياته مؤمناً بأن الصلاة هي البوصلة التي توجهه نحو الأمان وسط زحام الدنيا، كان ملتزماً بها بتوفيق من الله.

كل يوم يصلي في الوقت المحدد، ويقرأ القرآن بسهولة ويسر

دون عِراك ومجاهدة مع النفس.

كانت حياته كساعة متقنة الصنع، كل شيء يسير بنظام، بلا تعقيد أو فوضى.

لكن مع الوقت، مثل بطارية هاتف ذكي تضعف تدريجياً دون أن تلاحظ،

بدأ يشعر بأن الزمن يسرقه.

الحياة بدأت تسحب منه دقائق، حتى أصبحت تلك الدقائق

ساعات، والساعات أيامًا.

في البداية، تأخرت صلاته عن وقتها، ثم بدأت تتساقط واحدة تلو الأخرى، كما تتساقط الرسائل التي تتجاهلها في بريدك الإلكتروني حتى تتراكم.

لم يكن يدرك ما يفقده، لأن الضجيج من حوله كان يغطي على صوته الداخلي.

ومع تركه للصلاة، بدأت حياته تبدو كأنها سيارة فارهة تعطلت

في منتصف الطريق وأصبحت بلا فائدة.

توقف بعدها عن قراءة القرآن، لم يعد يرفع يديه بالدعاء، واستسلم للذنوب.

تلك الذنوب التي بدت كإشعارات مزعجة تظهر بشكل متزايد على شاشة حياته.

ظن أن هذه الاشعارات عابرة، مثل مشاكل بسيطة يمكن حلها لاحقًا، لكن كلما مر الوقت، كان يشعر بأن شيئاً ضخماً يثقل قلبه، وأن عجلة حياته بدأت تتعثر.

العمل الذي كان يزدهر فيه بدأ يخسر بريقه.

الرزق الذي كان يأتي بسهولة بات وكأنه يتفلت منه

مثل شبكة واي فاي تضعف الإشارة فيها تدريجياً

حتى تنقطع تماماً.

زملاؤه الذين كانوا يدعمونه ابتعدوا، وحتى صحته بدأت تتدهور.

كان يعتقد أن الحظ العاثر هو السبب، ولم يدرك أن الأمر أكبر من ذلك.

وذات يوم، بينما كان جالسًا في مقهى صغير يفكر في حياته التي أصبحت تشبه جهازاً معطلاً، اقترب منه صديق قديم لم يره منذ سنوات.

جلس بجانبه وسأله:

ما الذي حدث لك؟

لقد كنت من أكثر الناس تفاؤلاً ونجاحاً، ما الذي غيرك؟

سرد له قصته، وكيف أن الأمور بدأت تنحدر دون سبب واضح.

هز الصديق رأسه وقال:

الأمر ليس في الذنوب التي ترتكبها فقط، المشكلة الحقيقية تكمن في تركك للصلاة.

فالصلاة كالشاحن الذي يملأ بطارية حياتك بالطاقة، وعندما تتركها كل شيء يتداعى، كما لو أنك فصلت سلك الكهرباء عن جهاز كمبيوتر

ثم تتساءل لماذا توقف عن العمل.

تلك الكلمات كانت كصفعة أيقظته من غفوته.

شعر بأن كل شيء كان واضحاً، لكنه اختار تجاهله.

استجمع شتاته في تلك اللحظة، وعاد إلى الصلاة في اليوم التالي.

مع كل ركعة، شعر وكأنه يعيد شحن روحه.

وتماماً كما يعود الهاتف للعمل بعد شحنه لفترة، عادت حياته تتنفس من جديد.

بدأ الرزق يتدفق مرة أخرى، وبدأت أموره تنتظم كأنها ترس قد عاد إلى مكانه في آلة معقدة.

ومنذ ذلك الحين، لم يعد يتجاهل تلك "الإشعارات الروحانية"، بل أصبح يدرك أن الصلاة هي الرابط الذي يبقيه على توازن وسط تقلبات الحياة، وأن تركها يعني تعطيل كل شيء آخر.

لا أعرف كيف أفتحها.

كانا يجلسان في المقهى المعتاد، يتحدثان عن الأمور اليومية.

إحدى العلب المغلفة كانت على الطاولة، وبدت مغلقة بإحكام

بغلاف بلاستيكي يصعب فتحه.

أحدهما حاول فتح العلبة، لكنه سرعان ما توقف محبطًا بعد عدة محاولات.

نظر إلى صديقه وقال بتعجب:

لا أعرف كيف أفتحها.

الغلاف يغطيها بالكامل، ولا أرى أي مدخل أو زاوية أبدأ منها.

ابتسم الآخر، وأخذ العلبة بين يديه.

بثقة ودقة، أشار إلى زاوية صغيرة، شبه غير مرئية، وقال:

هنا، هناك فتحة صغيرة.

ليست واضحة، لكنها موجودة.

عندما تجدها وتبدأ منها، ينفتح كل شيء بسهولة.

تعجب الأول من بساطة الأمر، وظل يفكر للحظات.

ثم قال له الآخر:

أتعرف يا صديقي أن الحياة تشبه هذه العلبة أحياناً.

قد تبدو الأمور مغلقة تمامًا، دون أي مخرج واضح، لكن دائمًا هناك ثغرة، أو فتحة صغيرة تنتظر أن نكتشفها.

نظر إليه الآخر بتركيز وقال:

تقصد أن الحلول قد تكون موجودة أمامنا، لكننا نحتاج فقط إلى تغيير طريقة النظر، والبحث عن التفاصيل الصغيرة؟

أومأ صديقه وقال:

بالضبط. أحياناً نركز على الأمور المعقدة الكبيرة ونغفل عن الحلول البسيطة التي قد تكون مخفية في التفاصيل.

كل موقف صعب يحمل بداخله فرصة أو مدخل صغير نحتاج فقط إلى اكتشافه.

في تلك اللحظة، أدرك أن الحلول قد تكون في أبسط الزوايا، تمامًا مثل تلك الفتحة الصغيرة التي فتحت العلبة بسهولة.

الحياة مليئة بالفرص الصغيرة التي تنتظر من ينظر إليها بعين جديدة.

كأنه مدفعٌ ينطلق في ساحة معركة

كان يشتعل غضبًا من أبسط الأمور، تمامًا كما يشتعل عود الكبريت من

مجرد احتكاك بسيط.

لم يكن هناك صبر في حياته، كلما رأى فوضى أو خطأً صغيرًا، كان ينفجر كأن قنبلة صغيرة مزروعة في داخله.

حتى أبناؤه، الذين لا ذنب لهم إلا براءتهم، كانوا عرضة لهذه الانفجارات.

لم يكن يتحمل تأخرهم في الاستيقاظ أو حتى صوتهم العالي أثناء اللعب.

كل شيء كان يثير غضبه، من فوضى المنزل إلى سؤال بسيط من أحد الأبناء.

وإذا تحدث أحدهم بصوت مرتفع، كانت عيناه تشتعلان كأنه يشتعل نيرانًا داخلية.

وحين يرفع صوته، كان يعلو كأنه مدفعٌ ينطلق في ساحة معركة.

وفي يوم من الأيام، وهو يجلس في زاوية من زوايا بيته بعد أن انتهى من موجة غضب جديدة، سمع ابنه الصغير يقرأ حديثًا عن

النبي صلى الله عليه وسلم، حيث قال:

"لا تغضب." ورددها مرارا، لا تغضب.

تلك الكلمات البسيطة كانت بمثابة صدمة له.

كيف يمكن أن يُطلب منه كبح هذا الشعور المتفجر؟

هل هذا ممكن حقًا؟

جلس يتأمل حديث النبي، حتى تذكر أيضًا قول الله تعالى:

وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ.

وكأن هذه الآية كانت تتحدث عنه بشكل مباشر.

شعر لأول مرة أنه لم يكن مجرد رجل يغضب، بل كان كمن يصرخ

في فراغ لا يُسمع إلا صدى صوته، تمامًا كصوت الحمار الذي

لا يغير شيئًا إلا إزعاج السامعين.

بدأ يدرك أن الغضب كان ينهشه من الداخل، يمتص طاقته ويبعد عنه كل من يحب.

رأى في عيون أبنائه الخوف والقلق بدلاً من الحب والراحة.

وكأنه كان يدمر جسور التواصل معهم.

لقد عاش كأنه بداخل إعصار لا يهدأ، لكن شيئًا في داخله تغيّر

عندما استوعب تلك النصيحة النبوية والأية القرآنية.

بدأ يومًا بعد يوم يجاهد نفسه.
كلما شعر أن الغضب يقترب، تذكر صوت النبي وهو يقول

"لا تغضب."

وتذكر صوت الحمير التي لا تُحدث سوى ضجيج.
أصبح يتحلى بالصبر شيئًا فشيئًا، وكلما نجح في التحكم في غضبه، شعر بأن قلبه يهدأ وكأن غيومًا كانت تغطيه قد انقشعت.

وهكذا، تحول من رجل تُحركه أصغر المواقف إلى شخص أكثر هدوءًا

ووعيًا بنفسه، بلحظة.
أدرك أن القوة الحقيقية لا تكمن في رفع الصوت أو تفجير

الغضب، بل في السيطرة عليه.
أصبح يرى الحياة من زاوية جديدة، حيث الهدوء يَبنى

والغضب هو الذي يهدم.

وكأن الجدران نفسها تهمس له

كان دائمًا عاشقًا لكل ما هو جديد، كمن يقفز بين قنوات

التلفاز بحثًا عن برنامج ممتع.

لم يكن بوسعه مقاومة إغراء الأشياء التي تلمع أمامه.

يرى فيلمًا يتصدر قوائم المشاهدات فيهرع إلى تحميله، لكن بمجرد

أن ينتهي التحميل، يتلاشى شغفه.

كمن يفتح هدية ثم يتركها جانبًا دون أن يستكشف ما بداخلها.

يكتشف دورة تعليمية كان يبحث عنها لسنوات، يجد كل شيءٍ فيها متاحًا بين يديه، لكنه يتركها معلّقة في قائمة الدروس التي لا يبدأها أبدًا، كمن يعثر على كنز مدفون، ويتركه ليبحث عن آخر.

كل مشروع يخطر بباله يُصبح وكأنه منجم ذهب، فقط للحظة.

يرسم خططه، يرتب تفاصيله بدقة، لكن ما إن يقترب من أول خطوة للتنفيذ حتى يركن الفكرة في زاوية عقله، كأنها مجرد كتاب على رف مكتبة مليئا بالغبار.

لم يكن يفهم ما الذي يدفعه لذلك.

كل فكرة كانت تشبه عروسة في زفافها، جميلة لكنها بلا روح.

حتى جاءت اللحظة الذي تغير فيه كل شيء.

جلس في غرفة صامتة، شعر وكأن كل فكرة بدأها ولم يكملها تحاصره.

لم تكن مجرد أفكار مؤجلة، بل أشباح طموحات طاردها ثم تركها لتذبل.

نظر حوله، وكأن الجدران نفسها تهمس له بسؤال واحد:

"إلى متى ستظل هاربًا؟"

تعمق في أفكاره، وبدأ يسمع صوتًا داخليًا لم يكن يتجاهله فقط،

بل كان يهرب منه كلما لاحقته الحقيقة.

لم يكن الأمر عن مجرد مشاريع متراكمة أو فرص ضائعة، بل كان عن خوف خفي من الالتزام، من الوصول إلى النهاية التي ربما لا تحمل البريق

الذي كان يتخيله.

حينها فقط، انبثق نور في عقله.

لم يكن الإنجاز في البدء ولا في العثور على الجديد دائمًا، بل كان في أن تكمل الطريق، مهما بدا مليئًا بالتحديات.

لحظة المكاشفة هذه كانت كأنها شرارة أشعلت داخله طاقة جديدة.

الفكرة الحقيقية ليست في جمع الأفكار والمشاريع، بل في وضع نقطة النهاية لها، في أن يتحقق ما بدأه.

أدرك أن الانتصار ليس في اللحظة التي يحصل فيها على الجديد

بل في اللحظة التي يجلس فيها بعد جهد وقد أنجز

ورأى ثمرة تعبه تكتمل أمام عينيه.

المعلومات وحدها لا تكفي

كان يعيش وسط أكوام من الكتب.

كانت رفوف مكتبته مزدحمةً كأنها مدينة صامتة لا تسمع منها

سوى همسات الورق.

يلتهم الكلمات بشغف، يقرأ لساعات طويلة حتى يتأرجح رأسه من الثقل، لكنه رغم ذلك لم يتغير شيء في حياته.

كان كمن يجمع الأدوات دون أن يصنع شيئًا، كفنان يملك كل الألوان لكنه لم

يمسك بالفرشاة يومًا.

في كل مرة كان ينتهي من كتاب، كان يشعر بزهو مؤقت، وكأنه حصد نصرًا صغيرًا في معركة خيالية.

لكن سرعان ما كان يعود إلى عادته القديمة، يجلس، يقرأ، ثم لا يفعل شيئًا.

كانت معرفته تتراكم كأبراج من الرمال، جميلة لكنها هشة، تنهار في

أول عاصفة ولو ضعيفة.

وفي يوم وهو يتصفح كتابًا عن الإنجازات الشخصية، جاءت تلك الجملة كصفعة على وجهه:

"العقل بلا فعل، كالسيف المكسور، يلمع لكنه لا يقطع."

شعر بأن هذه الكلمات اخترقت قلبه كالسهم، أدرك فجأة أنه كان يعيش في وهم المعرفة، كالذي يحفظ خريطة المدينة ولكنه لا يخطو بقدميه في شوارعها أبدًا.

تغير في تلك اللحظة.

لم يعد يقرأ للقراءة فحسب.

بدأ ينظر إلى الكتب كأدوات لبناء شيء أكبر.

صار كل كتاب يقرؤه يحمل هدفًا عمليًا.

تحول من قارئ يتشبث بالمعلومات إلى صانع يستخدم تلك المعلومات لتغيير واقعه.

أصبحت حياته تدريجيًا مثل تجارب علمية؛ كل فكرة يختبرها، كل

معلومة يحولها إلى فعل.

كان كمن كان يحمل كنزًا بين يديه طوال الوقت لكنه لم يدرك قيمته حتى تعلم كيفية استخدامه.

وفهم أن الهدف من المعرفة ليس اكتنازها بل تحويلها إلى شيء حي، ملموس، يصنع فرقًا في حياته وحياة الآخرين.

فهم أن المعلومات يجب أن تتحول الى معمولات

والإشارات والهمسات يجب أن تتحول الى همم وإنجازات.

فتحول من الإعجاب بطريقة عمل اللانشون والبسطرمة

الى أن أصبح يمتلك محل من أكبر المحلات

للانشون والبسطرمة.

التكرار يعلم الشطار.

كان في منتصف العمر، اعتاد أن يعيش حياته متنقلًا بين مختلف

الأعمال والمهن، كعصفور لا يستقر على غصن واحد.

يستيقظ ليقرر أنه يريد أن يصبح نجارًا، وبعد أسبوعين من محاولاته المتعثرة مع الخشب والمسامير، يجد نفسه فجأة مولعًا بالتصوير.

اشترى الكاميرات والعدسات، وصال وجال في الشوارع ليلتقط صورًا

للعالم، لكنه لم يلبث أن شعر بالملل.

وكأن حياته كانت شاشة حاسوب مليئة بالبرامج المفتوحة

دون أن ينهي واحدًا منها.

قرر في مرة أخرى أن يتعلم العزف على البيانو.

ولأيام، كانت أنامله تتراقص على المفاتيح البيضاء والسوداء، لكنه سرعان ما شعر أن هذه المقطوعات الموسيقية لم تكن سوى نغمات مؤقتة في حياته المبعثرة.

تمر الأيام وهو يتنقل كمتسابق على حلبة، لا يعرف في أي اتجاه يذهب، وكلما اقترب من خط النهاية، سلك طريقًا آخر.

أصدقاؤه كانوا يلاحظون هذا الضياع، يحاولون نصحه، لكنه دائمًا

كان يبرر لنفسه:

"أنا فقط أبحث عن شغفي".

لكنه لم يكن يدرك أن الشغف لا يظهر بين ليلة وضحاها، بل يُبنى كما تُبنى البيوت، حجرًا فوق حجر.

وفي أحد الأيام، بينما كان جالسًا في مقهى، يسمع حديثًا دار بين رجلين مسنين. قال أحدهما للآخر أخر الحديث:

" التكرار يعلم الشطار".

ضحك الآخر وهزّ رأسه موافقًا.

توقف عند هذه الجملة.

هذه الكلمات البسيطة حركت في داخله شيء لم يشعر به من قبل.

عاد إلى منزله في تلك الليلة، وجلس يفكر:

ربما كان مشكلته ليست في عدم وجود الشغف، بل في عدم استمراريته.

ربما لو كرر محاولاته في أي مهنة، لكان قد أصبح شاطرًا فيها.

بدأ يتأمل كيف أن الأطفال يتعلمون المشي بالسقوط مرات عديدة، وكيف أن الرياضيين لا يصبحون أبطالًا من أول محاولة.

استفاق في اليوم التالي، وقرر أن يعود إلى شيء أحبه في البداية، وهو النجارة. هذه المرة، لم يسمح لنفسه بالتشتت.

بدأ يتعلم ويخطئ، ويعيد المحاولة.

وشيئًا فشيئًا، بدأ يشعر بتحسن في مهارته.

أصبح النجار الذي طالما أراد أن يكون، لكن ليس بموهبةٍ فطرية، بل بالتكرار، حتى تعلم كيف يحول الأخشاب ويزخرفها إلى قطع فنية.

تعلم أخيرًا أن النجاح لا يكمن في التنقل بين المهارات كالطائر المذعور

بل في الصبر والتكرار.

مستترًا في الظلال.

كان دائمًا يخشى صوت كلماته.

كان يعرف أن لسانه ثقيل، وكأنه يحمل في كل حرف أوزانًا لا يُطيق حملها.

كلما أراد أن يتحدث، كان يشعر وكأن الكلمات تتصارع في حلقه وتقفز بين أسنانه مثل أحجار صغيرة، تتعثر وتسقط أمامه.

في كل مرة حاول فيها الحديث، كانت العيون تلتفت، ثم الابتسامات الساخرة، حتى وإن كانت مخفية خلف ملامح غاضبة، تقتل أي أمل لديه في أن يكون مسموعًا.

تحولت الحياة إلى مسرح كبير، لكنه كان يقف في خلفيته، مستترًا في الظلال، يكتفي بالاستماع فقط، لأن كلماته لا تملك القوة الكافية لتخرج للنور.

كانت المواقف التي تتطلب منه الحديث أشبه بالكابوس، كأنه عالق في فيلم صامت وسط مشهد صاخب.

كان يتجنب الاجتماعات، النقاشات العائلية، وحتى محادثات بسيطة في المقهى. يفضل الصمت على أن يكون مصدرًا للسخرية.

في إحدى الليالي، وبينما كان يجلس على أريكة المنزل بجانب زوجته، شعر بثقل العالم على كتفيه.

حملت تلك الليلة شيئًا مختلفًا، وكأن الأفكار التي كانت مخبأة بداخله قررت فجأة أن تفيض.

نظر إلى زوجته وقال بصوت مختنق:

تعبت من كوني كأني شخص عاجز عن الكلام، تعبت من إحساسي

إنني بلا صوت.

نظرت إليه بعينين تحملان مزيجًا من الحب والفهم، لكنها لم تجبه مباشرة.

تركته يستريح في صمته للحظة قبل أن تقص عليه قصة قديمة:

أتعرف أنه كان عندي أستاذ في الجامعة.

يمكن ما تصدق، لكن صوته كان أضعف من صوتك بمراحل.

كان يتلعثم في كل جملة، يحاول يقول كلمة، فتخرج منه مشوهة.

كنا نجلس في القاعة، وأحيانًا نشعر بالحرج عنه، كأنه يمشي على حبل

رفيع مع كل كلمة يقولها.

نظر إليها متفاجئًا، فابتسمت وأكملت:

لكن، تعرف؟ لم يكن يتوقف.

رغم كل ذلك، كان يتحدث.

وكلماته، رغم تعثرها، كانت تحمل أثقل المعاني.

كان يؤمن بما يقول، لدرجة أن الجميع توقف عن التريقة والسخرية.

علمنا أن القوة ليست في اللسان الذي ينساب كالنهر كما تظن أنت الآن، بل في

العقل الذي يؤمن بقيمة ما يقوله.

هنا توقفت قليلاً، ثم أضافت وهي تحدق في عينيه:

"المشكلة مش في لسانك، المشكلة في أنك تعتقد أن صوتك

أقل قيمة من أصوات الآخرين".

في تلك اللحظة، شعر وكأن جدارًا طويلًا كان قد بناه حول نفسه بدأ يتصدع.

تلك الكلمات كانت كالضوء الذي يخترق الحجب السوداء في داخله.

أدرك أنه لم يكن مشكلة في لسانه فقط، بل في خوفه من مواجهة العالم.

الخوف الذي منعه طيلة هذه السنوات من أن يرفع صوته ويعبر عن نفسه.

في نفس الساعة، قرر أن يخوض معركته.

بدأ الحديث.

تعثرت الكلمات كما كان يتوقع، لكن هذه المرة لم يتوقف، ولم يشعر بالخجل عندما ضحك أحدهم.

بدلاً من أن يهرب، استمر في الكلام. كل جملة كانت مثل حبة رمل تسقط من جبل خوفه، وكل ضحكة كانت مثل ريح تهب لتكشف له أن العالم ليس مهتمًا بقدر ما كان يعتقد.

وفي نهاية كل مقابلة، كان قد قال كل ما أراد، بلا خوف، بلا خجل.

لم يعد يهتم إن كان صوته متعثرًا، لأن القوة كانت في الرسالة التي يحملها، وفي أنه وللمرة الأولى منذ سنوات، شعر أن كلماته كانت أثقل وأعمق من أي ابتسامة ساخرة.

الأربعين كانت جرس إنذار.

كان يجلس على الأريكة متأملاً انعكاس صورته في النافذة، تلك الصورة التي باتت تحمل شيئاً من التجاعيد والعلامات الخفيفة التي ترسمها السنوات.

تجاوز الأربعين، ولكنه شعر وكأنها لحظة غير مرئية مرّت به دون أن يُدركها. ولكن الحقيقة كانت واضحة:

هذا الجسد لم يعد كما كان، والآلام الصغيرة التي كان يتجاهلها أصبحت أقوى، تُذكّره في كل ألم يشعر به بأن الزمن له قوانينه الصارمة.

في أيام شبابه، كان يعتقد أن الصحة هي تلك الهدية التي تأتي مع الولادة، لا تحتاج إلى عناية أو اهتمام، تماماً كشاشة هاتف ذكي جديد لا يزال يحتفظ

ببريقه الأول.

لا خدوش، لا مشاكل، كل شيء كان يعمل بانسيابية وعلى ما يرام.

السهرات التي لم يكن فيها أي اكتراث، الوجبات السريعة التي كانت تلتهمها معدته دون تفكير، وحتى الرياضة لم تكن جزءًا من قاموسه.

كل شيء كان مؤجلًا لوقت لاحق، ظنّ أنه بعيد جدًا، وكأنه كان يعتقد أن جسده مصنوع من الفولاذ، لا ينكسر ولا يتغير.

لم يكن يفكر يومًا أن تلك الهدية الثمينة قد تتلاشى جودتها

ببطء دون أن يشعر.

لكن مع مرور الوقت، بدأت تلك الشاشة تظهر عليها خطوط دقيقة، وأخطاء برمجية لم تكن موجودة من قبل.

فجأةً، شعر بألم في مفاصله، وتعب مستمر يلاحقه حتى في أيام الراحة.

كانت تلك الأعراض كرسائل تحذيرية من نظام تشغيل حياته الذي بدأ يعاني من مشاكل تقنية لا يمكن إصلاحها بسهولة.

وكأنه كلما تقدم به العمر، كانت تلك الأخطاء تزداد تعقيدًا، لا يكفي

إعادة التشغيل لإصلاحها.

تذكّر نصائح أصدقائه الأكبر سنًا الذين كانوا قديماً يحذرونه، لكنه تجاهلها.

كان يضحك وقتها ويقول!

ما زلت في بداية العمر.

الآن هو من يتحدث بنفس النصائح، ولكن هذه المرة من منطلق خبرة مريرة.

حاول أن ينصح ابن أخيه الشاب الذي كان ُيشبهه في الخصال قائلاً:

"لا تنتظر حتى تتجاوز الأربعين لتدرك قيمة الصحة، ابدأ من الآن واعتنِ بجسدك، قبل أن تندم على ما ضاع من وقتٍ دون اهتمام".

ولكن هل سيفهم؟ هل سيرى تلك الحقيقة قبل أن تصبح درساً متأخراً؟

بدأ يشارك تجربته مع الشباب، يحذرهم من تكرار أخطائه، ويحثهم على الاهتمام بصحتهم منذ الصغر.

كان دائماً ما يقول لهم:

الصحة هي أغلى ما تملكون، فلا تضيعوها في المرح الزائف، ولا تنتظروا حتى تفقدوها لتدركوا قيمتها.

الصحة ليست مجرد كلمة تُقال في خطب توعية أو نصيحة عابرة، بل هي القوة التي تحركك في كل لحظة.

فهمَ الآن أن كل دقيقة من العناية بنفسه هي بمثابة استثمار في الأيام القادمة، وأن الحياة بعد الأربعين يمكن أن تكون بداية جديدة وليست نهاية.

الأربعين كانت جرس إنذار، وليس النهاية.

كما لو أن الحياة كانت تهمس له:

ما زال هناك وقت، ولكن لا تهمل المزيد.

كان يشعر بالندم العميق، لكنه أدرك أن الوقت لم يفت بعد.

قرر أن يبدأ رحلة جديدة، رحلة نحو الصحة والعافية.

بدأ بممارسة الرياضة بانتظام، وتغيير نمط غذائه، والابتعاد عن العادات السيئة التي كانت تضر بصحته، والالتزام بالصلاة في وقتها في المسجد.

كانت تلك الخطوات كأنه يقوم بتحديث نظام تشغيل حياته، يزيل البرامج الضارة ويثبت البرامج الحديثة التي تساعده على العمل بكفاءة أعلى.

شعر بتحسن ملحوظ في حالته الصحية، بدأ يشعر بالطاقة والحيوية مرة أخرى، كأنه استعاد شبابه، وعمل إعادة ضبط المصنع لحياته.

وهكذا، أدرك أن العمر ليس عدوًا، بل مرآة تعكس ما زرعته الأيام

في جسده وروحه.

وأن الاهتمام بصحته الآن، هو بمثابة إعادة إحياءٍ لبريق كان يظن أنه فقده.

ولن أكون كاذباً إن قلت لكم بأن حاله كان يشبه بحساب بنكي.

في شبابه، كان يسحب من هذا الحساب دون أن يودع فيه.

والآن، وبعد أن أصبح رصيده قليلاً، بدأ يفكر في كيفية إعادة

بناء هذا الحساب من جديد.

وكأنهم في سباق للهروب من نظرته الثاقبة

كان يسير في الحارة كالملك المتوج على عرشه، بشعره الأشعث ووجهه الحزين.

لا يمر يوم إلا وكان له حديث عابس، ونبرة صوته الجافة كانت كالريح الباردة التي تخترق النوافذ في ليالي الشتاء.

كلما تكلم مع أهله أو أقاربه، كانت الكلمات تخرج من فمه كما تخرج القذائف.

لا مجال لمرونة أو تسامح.

زوجته كانت تشعر وكأنها تخطو على زجاج مكسور حين تفتح معه أي موضوع.
جيرانه أصبحوا يتجنبونه كما يتجنب أحدهم طريقًا مليئًا بالحفر.

الجميع كان يعبر أمامه وكأنهم في سباق للهروب من نظرته الثاقبة.

ومع ذلك، لم يكن يرى شيئًا خاطئًا في سلوكه.

كان يعتقد أن الحزم يعني السيطرة، وأن الوجه العابس هو رمز القوة.

وذات يوم، كان يجلس على كرسيه الخشبي بجوار النافذة المفتوحة.

الرياح تحمل أصواتًا متداخلة من الشارع، إلى أن لفت انتباهه صوت المقرئ في الراديو القريب.

كان يقرأ قوله تعالى :

"ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك."

كلمات الآية ترددت في أذنيه كما لو أن بابًا قد فتح في عقله لأول مرة.

تساءل بينه وبين نفسه:

"هل يعقل أنني ذلك الشخص الذي ينفض الناس من حوله؟"

تذكر كيف بدأ أصدقاؤه يبتعدون عنه شيئًا فشيئًا، وكيف صار صدى خطوات جيرانه كأنهم يتحاشون لقاءه.

نظر حوله.

البيت هادئ، لكن ليس هدوء الراحة، بل هدوء العزلة.

كأنما الجميع تركوه في جزيرة من صنع يديه، بجسور قطعها بسيف كلماته الحادة.

وفي لحظة من تلك اللحظات النادرة، تغير شيء في داخله.

أدرك أن قلوب الناس لا تُفتح بالقسوة، بل باللين.

رأى صورًا سريعة أمامه:

نظرة الانزعاج في عيون زوجته، تقطيب جبين جاره، والطفل الصغير الذي يهرب منه عندما يمر.

توقف عن كل ما كان يفعله.

للمرة الأولى بدأ يشعر بالثقل الذي كان يرميه على الآخرين.

في اليوم التالي، كان في السوق، وكما هي العادة، صادف جاره الذي كان يتجنب الحديث معه.

لكن هذه المرة، لم يكن هو المعتاد.

ألقى عليه التحية بصوت هادئ وكلمات دافئة، كما لو كان يعيد بناء الجسور التي دمرها.

عاد إلى المنزل، لكنه لم يكن نفس الشخص الذي خرج منه في الصباح.

عندما دخل، وجدت زوجته نفسها أمام رجل مختلف.

لم يسألها عن الأشياء المعتادة بنبرته المعتادة، بل نظر إليها بهدوء.

شعرها المنكوش من كثرة المهام اليومية لم يعد يبدو له فوضويًا كما كان يرى من قبل، بل كرمز لتفانيها وصبرها.

جلس إلى طاولة الطعام.

كان ابنه الصغير يلعب بالقرب منه، وقبل أن يقول أي كلمة كعادته لينهره، توقف. ابتسم لأول مرة منذ سنوات.

تلك الابتسامة، وإن كانت خجولة ومرتبكة، كسرت الجدار الذي كان يقف بينه وبين أفراد عائلته.

شعر وكأنه غريب يدخل بيتًا جديدًا، لكنه هذه المرة، لم يشعر بالتهديد من هذا الشعور.

مرت الأيام، وبدأ يلاحظ التغييرات من حوله.

جاره الذي اعتاد أن يمر بجانبه دون أن يلقي التحية، بدأ يتوقف ليتبادل معه حديثًا خفيفًا.

ابنته الصغيرة، التي كانت تتحاشى الاقتراب منه لطلب شيء، جاءت إليه ذات يوم وجلست بجانبه وظلت تضحك وتثرثر معه كما لم تفعل من قبل، وكأنها كانت تنتظر تلك اللحظة طويلاً.

حتى صوته، الذي كان يومًا كأنه أنكر الأصوات، أصبح أكثر ليونة، مثل نسيم خفيف يمر بين أغصان الأشجار.

لم تكن التغييرات سريعة، ولم يكن الأمر سهلاً.

كان يجد نفسه أحيانًا يعود إلى عاداته القديمة، لكن في كل مرة يتذكر صوت المقرئ في ذلك اليوم، ويعود إلى الآية التي غيرت مسار حياته.

كان يعلم أن التحول ليس سهلاً، لكنه كان يشعر بأن كل خطوة يخطوها نحو اللطف والمرونة تبني جسرًا جديدًا بينه وبين من حوله.

وفي نهاية المطاف، أصبح ذلك الرجل الذي لا يُخشى منه، بل يُقترب منه.

لم يعد الناس يهربون من طريقه، بل باتوا يجتمعون حوله، يتحدثون معه، يشاركونه تفاصيل حياتهم.

وكأنه، في تلك اللحظة التي تغير فيها، فهم سر القلوب:

أنها لا تُفتح إلا بالرفق.

كما يبحث غريق عن قشة

عُرفَ باندفاعه وراء شهواته كمن يقود سيارة بسرعة جنونية نحو هاوية، دون اكتراث لأي إشارة تحذيرية.

كلما ناداه هواه، لبّى النداء دون تردد.

حياته كانت أشبه بساعة رملية، تتساقط فيها دقائق العمر دون هدف، حتى بدأت ملامح شخصيته تتلاشى كما يتلاشى ضوء مصباح قديم.

كل صفة حسنة كانت فيه ماتت ببطء.

كان معروفًا في شبابه بالنزاهة، لكن الأنانية التي استوطنت قلبه كانت كالعاصفة التي تسحق كل ما في طريقها.

يوماً بعد يوم، بات كالريشة التي تسير مع الريح، دون توجيه أو إرادة.

وصل الحال به إلى أن نسي حتى معنى الصدق والكرامة، كمن نسي لغة قديمة كان يتحدث بها بطلاقة.

وفي إحدى الليالي المظلمة، حينما كان يواجه أفكاره، بدا وكأنه يرى شبح نفسه، تلك الصورة القديمة لرجل كان يحمل حلمًا ذات يوم.

بدأ يبحث، كما يبحث غريق عن قشة، عن أي طريقة تعيده إلى ذاته.

كانت عينيه تائهتين في أرجاء الغرفة، حتى وقعتا على كتاب مدرسي قديم لابنته.

فتح الكتاب بعشوائية، وإذا بالصفحة تنفتح على آية لامست قلبه

"والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا" .

شعر وكأن الآية كالضوء الذي يخترق الظلام.

كيف لم يدرك من قبل أن الجهاد ليس فقط في الحروب والمعارك، بل أيضًا في معركة النفس، تلك المعركة الأصعب، التي تعني مقاومة تلك النزوات التي أغرقته لسنوات؟

عاد إلى تفسير الآية وكأنه عطشان في صحراء، يبحث عن قطرة ماء.

حينما قرأ التفسير، انكشف له معنى الجهاد الحقيقي.

عرف أن مواجهة النفس تحتاج إلى عزيمة أشبه بصخرة لا تتحرك أمام أمواج الأهواء.

تلك اللحظة كانت كمفتاح فتح بابًا كان موصدًا في قلبه لسنوات.

أدرك أن الجهاد مع النفس ليس مجرد كلمة، بل فرض.

وكأن رجلاً كان يحتضر وبدأ يستعيد أنفاسه ببطء.

كان كلما أثارته شهوة أو لعب بعقله الشيطان، يشعر بأن الصراع داخله يتأجج كمعركة لا ولن تنتهي.

لكن هذه المرة، لم يعد يستسلم بسهولة.

كان يواجه تلك النزوات بعزيمة جديدة، وكأنه جندي في معركة شرسة ضد عدو غير مرئي.

عندما تشتعل نار الشهوة في داخله، كان يتذكر تلك الآية، وكأنها الماء الذي يطفئ لهب نفسه.

ومع كل محاولة من الشيطان لإيقاعه، كان يستعيد قوته بتلك الكلمات، كما يستمد المحارب شجاعته من سلاحه.

بات يعلم أن النصر في هذه المعركة لا يأتي من الخارج، بل من الداخل، من قدرته على السيطرة على رغبته والتحكم في شهوته.

في كل مرة يغلبه الضعف، كان يراجع نفسه سريعًا، لا يدع الهزيمة تتسلل إلى قلبه.

صار يرى أن الشهوة ليست سوى اختبار، وأن كل لحظة مقاومة تزيده قوة.

كأنها معركة صغيرة تضاف إلى سجله في طريق طويل من الجهاد.

كان يعلم أن الشيطان لن يتوقف، لكن الآن هو أيضاً لن يتوقف، بل أصبح أقوى كلما تكررت المحاولة.

وبمرور الوقت، بدأ يشعر بأن نفسه الأمارة بالسوء لم تعد لها نفس السيطرة عليه.

أصبح لديه قوة داخلية لم يكن يعرفها من قبل، وكأن المجاهد الذي فيه بدأ يستيقظ.

أدرك أن الجهاد ليس في الانتصار الكامل الفوري، بل في الاستمرار في المحاولة رغم كل إغراء، وفي أن كل انتصار صغير هو خطوة نحو الانتصار الكبير.

وهكذا، كلما عاد الشيطان ليهمس في أذنه، كان يبتسم في داخله، فقد أدرك أن مفتاح القوة كان دائمًا في يده، مخبأً بين كلمات الآية :

" والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا".

لا يمكن لسيجارة أن تنافسها.

كان يعيش حياته في دوامة من الدخان، ينفث سيجارته تلو الأخرى وكأنها الزاد الذي لا غنى له عنه.

كل مرة كان ينظر فيها إلى الدخان المتصاعد أمامه، يشعر كأنه يراقب أحلامه تتلاشى مع كل نفس يملأ به صدره.

كان كل نفس يأخذه من السيجارة يزيد من إحساسه بأن حياته وأحلامه تتلاشى شيئًا فشيئًا، وأنه بدلاً من أن يبني مستقبله، كان يهدمه مع كل نفخة من الدخان.

صار الدخان رفيقه في الوحدة، مهدئاً لأعصابه المتعبة، لكنه في الحقيقة كان يُثقل قلبه ورئتيه في صمت.

في ليلة هادئة، وبينما كان يتصفح هاتفه، مرّ على مقال يتحدث عن طاعة الله وعن كيف يمكن للإنسان أن يُغذّي نفسه بما هو أنقى وأعمق من هذه العادات التي تستنزف روحه وجسده.

شعر وكأن كاتب المقال يخاطبه مباشرة، وكأن الكلمات كانت مرآة يرى فيها ذاته الغارقة في الدخان.

بدأ يتساءل:

ماذا لو كانت الطاعات قادرة حقاً على أن تكون سلاحًا ضد هذا الإدمان؟

منذ ذلك اليوم قرر أن يجرّب.

بدأ يُكثر من الصلوات، لكنه لم يكتفِ بذلك؛ بل أضاف وقتًا للقران، وقتًا لذكر الله، وأحيانًا وقتًا للبقاء ساكنًا بلا دخان ولا هاتف.

كل مرة كان يغمره شعور بأن تلك الطاعات تغذّي روحه بطريقة لا **يمكن لسيجارة أن تنافسها.**

كأن صدره كان يتحرر مع كل صلاة جديدة، وكأن ثقلاً غير مرئي يُرفع عن كاهله مع كل لحظة يقضيها في تسبيحه أو استغفارا.

تدريجيًا، بدأ يشعر بأن طاقة جديدة تتدفق داخله، كأنها شمس تشرق

بعد ليل طويل.

كان هناك لحظات كثيرة من الإغراء، لحظات حين كان الدخان يناديه وكأنه يقول: أنت بحاجة لي.

لكنه بدأ يدرك أن تلك السيجارة لم تكن إلا فخًا مؤقتًا، وكانت تلك الطاعات تزرع في داخله قوة لم يكن يعرف أنها موجودة.

بمرور الوقت، صار أكثر ثباتًا، وأكثر قدرة على مقاومة إدمانه.

أدرك أن الحياة يمكن أن تسير بدونه، بل وربما تكون أجمل وأعمق.

أصبح الدخان شيئًا من الماضي، وحل محله سلام داخلي جديد لم يكن يعرفه من قبل.

كلما نظر إلى نفسه الآن، شعر بأنه ينتقل من عالم مظلم ثقيل إلى نور أجمل، وكأن نفسه أصبحت جناحًا خفيفًا يحلّق بحرية، بعيداً عن قيود العادات القديمة التي كانت تُثقل قلبه وروحه.

لم يترك الطاعات بسبب معصية

بل قام بزيادة الطاعات حتى كره المنكرات.

يعكس نقصهم هم ليس عيبك أنتِ

كانت تعمل مدرسة في مدرسة حكومية بسيطة.

لم تكن مجرد معلمة تنقل الدروس، بل كانت تشعر وكأن كل طالب هو مشروع تربية وتعليم يحتاج إلى قلب كبير وعقل صبور.

كانت مثل النحلة التي لا تتوقف عن جمع الرحيق لتقدمه للآخرين بلا حساب، تُراعي ظروف الطلاب، تستمع لهم، وتتفهم مشاكلهم وكأنها أختهم الكبيرة.

لكن كانت محاطة بعيون لا ترتاح.

الحسد كان يلاحقها حتى في أصغر تفاصيل يومها.

كانت تشعر وكأن كل خطوة تخطوها، وكل نجاح تحققه، يثير غيرة الناس حولها. حتى بعض زملائها في المدرسة الذين كانوا يبتسمون لها في وجهها، كانت تعلم أن في قلبهم غير ما يظهرون.

العيون لا تكذب أبدًا.

الأمر الذي زاد ألمها هو أن تلك العيون لم تأتِ فقط من الغرباء، بل حتى من أقرب الناس إليها.

من كانوا يعتبرونها صديقة كانوا يغارون من تقدير الإدارة لها أو حتى من بساطة حياتها التي كانت تعيشها برضا وقناعة.

وفي أحد الأيام، بعد يوم طويل وشاق، عادت إلى بيتها منهكة.

جلست مع زوجها على الطاولة في المطبخ.

كانت الحيرة تملأ عينيها، وحكت له عن ثقل الحسد الذي تشعر به من حولها. قالت له:

لا أعلم لماذا لا يرى الناس إلا ما في يدي؟

وكأن أعينهم لا تبصر سوى ما أمتلك.

أفعل كل شيء بصفاء النية وأبتغي به وجه الله، لكنهم يحسدونني على نصيبي وكأنه ظلم لهم.

كان يستمع بصمت، ثم أجابها بنبرة هادئة لكن حازمة:

دائمًا ستجدين من تتجه أعينهم نحو ما في يدك، وكأن أرزاقهم معلقة بنصيبك.

النجاح عندهم زي المرآة، يعكس نقصهم هم ليس عيبك أنتِ.

هذه الكلمات خففت عنها، لكنها لم تُزل الألم تمامًا.

كلما مضت الأيام، كانت تشعر بثقل أكبر على كتفيها.

الحسد كان مثل الظل الذي لا يتركها، يلاحقها في كل مكان، حتى من أقرب الناس لها.

وفي لحظة من الإنهاك النفسي، أدركت أنها بحاجة للوقوف مع ذاتها، لمراجعة الطريق واستعادة توازنها.

نظرت في حياتها ذات يوم وكأنها تحاول استرجاع روحها التي أنهكتها الضغوط.
فكرت بعمق وقالت لنفسها:

لماذا أسمح لحياتي أن تكون مرهونة بأحاديث الآخرين؟

النجاح هبة من الله، ولن أسمح لأحد أن يعكر صفوه أو ينتقص منه.

كانت هذه اللحظة بمثابة انفراج للنفس.

قررت أن تكمل حياتها وتؤدي عملها بإخلاص مثلما كانت دائمًا، لكن هذه المرة كانت تفعل ذلك لنفسها فقط، دون انتظار أي تقدير من أحد.

أصبح رضاها عن نفسها أهم من رضا الناس، واستعادت طاقتها وإيجابيتها.

منذ ذلك الحين، كانت تمشي بثبات وثقة أكبر، وهي تعرف أن العيون ستظل تراقب، لكن قلبها كان مطمئنًا بأن الرزق والحظ ليس في أيدي الناس، بل في يد الله وحده.

حين يظهر يُلفت الأنظار

كان معروفًا بين أصدقائه بالحديث المستمر، لا يمر موقف إلا وله فيه تعليق أو قصة طويلة لا تنتهي.

كان يتحدث عن السياسة وهو لا يفقه شيئًا فيها، يناقش عن الرياضة رغم أنه لا يخرج من بيته، ويعطي النصائح في العلاقات دون أن يكون قد دخل واحدة.

كلماته كانت تتطاير في الهواء، كأوراق شجر خريفية لا قيمة لها.

مع الوقت، بدأت الناس تتجنبه.

ليس لأنه سيء الطباع، ولكن لأنهم ملّوا من صوته الذي لا يسكت.

كانوا ينظرون إليه وكأنه لا وزن له، ليس بسبب ضعفه الجسدي، ولكن لأنه يُفقد هيبته مع كل كلمة زائدة.

كان كمن يُفرغ برميلاً من الماء في وسط عاصفة، فلا أحد ينتبه له.

وذات يوم، جلس في مقهى، وسمع حديثًا بين رجلين عن شخص مشهور بالحكمة.

قال أحدهم:

إن أعظم ما يملكه هو قدرته على الصمت.

يصمت حتى حين يكون لديه الكثير ليقوله، فيزيد من احترامه.

شعر بشيء يتحرك بداخله، مثل ريشة تلامس بحيرة هادئة.

أدرك فجأة أن الكلام الكثير لم يكن سوى ستار يغطي جهله، وأن الهيبة لا تأتي بالثرثرة.

قرر أن يجرب الصمت.

في الأيام التالية، لم يعد يتحدث إلا حين يكون له شيء حقيقي يضيفه.

وعندما لا يعرف، كان يكتفي بالابتسام أو الإيماء برأسه.

لاحظ بسرعة التغيير في نظرات الناس تجاهه؛ كأنهم يرونه من جديد.

لم يعودوا يتجاهلونه، بل أصبحوا يستمعون عندما يتكلم، لأن كلماته أصبحت قليلة وموزونة.

أصبح مثل نجم يسطع في سماء مظلمة، حين يظهر يُلفت الأنظار.

حتى في تلك اللحظات التي كان يشعر فيها بالإغراء للحديث، كان يذكر نفسه: القوة في الصمت.

تعلم فن التجاهل، وأصبح يعرف متى يُدير ظهره للجدال غير المجدي، مثلما تغلق نافذة عندما يشتد الغبار.

أصبح يُحسب له حساب في كل مكان يذهب إليه.

لم يعد مجرد شخص يتحدث بلا توقف، بل صار يعرف متى

يصمت، ومتى يتحدث.

يمكنك تفريغ هذا الهواء الزائد

كان يسير بخطواته المترددة، كأنه يمشي على زجاج مكسور.

كان قلبه هشاً، يتأثر بكل كلمة وكأنها سهم يخترق قلبه مباشرة.

حتى أبسط المواقف، التي قد يمر بها أي شخص دون أن يلتفت إليها، كانت بالنسبة له كعاصفة لا تهدأ.

ضحكة عابرة، مزحة غير متقنة، نظرة لم ترق له.....

كل هذه الأمور كانت تجرحه بعمق.

لم يكن سيئاً بطبيعته، لكن حساسيتَه العالية جعلته يتعامل مع الكلمات كأنها شفرات حادة.

كلما حاول أحدهم المزاح معه أو انتقاد تصرف بسيط، كان يرد بعصبية، وكأن الدفاع عن نفسه بات أولوية أمامه أكثر من الحفاظ على علاقاته.

في البداية، حاول أصدقاؤه تحمله، معتقدين أن هذه العاصفة من التوتر سرعان ما ستهدأ.

لكن شيئاً فشيئاً، بدأت تلك العاصفة تصبح جزءاً من يومياته، حتى ضاقت الدائرة عليه.

صار كأنما يسير في متاهة من الحزن، كلما اقترب أحد، دفعه بعيداً دون أن يدرك. كلماته كانت تشبه السيوف التي تجرح الجميع دون استثناء.

كان كل لقاء معه أشبه بحقل ألغام، لا تعرف متى تنفجر واحدة في وجهك.

وحين بدأت الأصدقاء تتساقط من حوله واحداً تلو الآخر، بدأ يشعر بأن شيئاً ما خطأ، لكنه لم يكن يعرف ماذا.

وفي إحدى الليالي، جلس في مقهى وحده، وهو الذي كان اعتاد الجلوس هناك وسط جمع من الأصدقاء والضحكات.

رفع عينيه ليرى مجموعة من الشباب يضحكون معاً على طاولة قريبة.

كانوا يمزحون، يتبادلون الأحاديث بلا قيود، وكأنهم في عالمٍ آخر بعيداً عن عوالمه المليئة بالتحليلات والتوترات.

تذكر حين كان يجلس مع نفس هؤلاء الأشخاص قبل أشهر قليلة فقط.

تذكر الضحكات والمواقف البسيطة التي كان يشاركهم فيها، وكيف تحولت فجأة إلى مساحات من الصمت والكلمات القاسية.

وأدرك في تلك اللحظة أن المشكلة لم تكن فيهم، بل فيه.

مرت أمامه كلماتهم كموجات رقيقة على شاطئ هادئ، بينما كان من قبل يراها كسحب سوداء تحمل العواصف.

وتذكر كم مرة انفجر بسبب مزحة عابرة أو كلمة لم تكن سوى تفريغ بريء للضغط اليومي.

تلك اللحظة كانت بمثابة الكتاب التي عكس له حقيقة تصرفاته.

أدرك أن كلما زاد تدقيقه على التفاصيل الصغيرة، زادت المسافة بينه وبين الآخرين.

وكأنما كان يضيق الدائرة على نفسه دون أن يدري.

وفي اليوم التالي، قرر أن يبدأ من جديد.

قرر أن يتعلم كيف يتعامل مع الكلمات كنسيم خفيف يمر، لا كرياح عنيفة تقلب حياته رأساً على عقب.

فهل سيتمكن من استعادة من حوله؟

بدأ بالابتعاد عن تحليل كل كلمة وتصرف.

كلما سمع مزحة أو تعليقًا، شعر بالارتباك داخله، وكأن موجة من القلق تحاول العودة.

لكنه كان يذكّر نفسه:

لا تدع كل كلمة تسيطر عليك.

وبمرور الأيام، بدأت الأمور تتغير تدريجياً.

كان يحاول الاستماع إلى الآخرين دون أن يقاطعهم أو يرد بعصبية.

تعلم أن يأخذ نفساً عميقاً قبل أن يرد، وكأنه يعيد ضبط نبضات قلبه مع كل محادثة جديدة.

لم يعد يرى في كل كلمة هجومًا عليه، بل محاولة للتواصل، حتى وإن كانت بطريقة لا تعجبه أحيانًا.

في إحدى الأمسيات، التقى بأحد أصدقائه القدامى الذين ابتعدوا عنه بسبب حساسيته المفرطة.

ابتسم له وقال: "اشتقت للأيام التي كنا نضحك فيها من قلبنا".

ابتسم صديقه بدوره، وكأن تلك الجملة كانت إشارة للعودة.

"أنا أيضاً، لكنك كنت صعب يا... لا أحد كان يعرف يتصرف معك".

هنا، أدرك حجم التأثير الذي تركته عصبيته على علاقاته.

تلك اللحظة كانت بداية المصالحة، ليس فقط مع صديقه، بل مع نفسه.

لم يعد يترك حساسيتَه تقوده، بل أصبح أكثر تسامحاً مع نفسه ومع الآخرين.

تعلم أن الكلمات ليست دائماً أسلحة، بل أحياناً تكون مجرد أصوات عابرة، وأن ليس كل موقف يحتاج إلى رد فعل.

وهكذا، تعلم درسًا قوياً في الحياة.

أن الحساسيات المفرطة مثل بالون ينتفخ مع كل كلمة حتى يكاد ينفجر، لكن بالتروي والتسامح، يمكنك تفريغ هذا الهواء الزائد ليصبح البالون خفيفاً وجاهزاً للتحليق دون أن ينفجر.

تيقن أن الهروب لم يكن يحميه.

كان شابًا نشيطًا ويمتلك طاقة لا تنفد، كالعجلة التي تدور بلا توقف.

لكنه مع مرور الوقت، بدأ يشعر بأن الحياة ثقيلة كأنها حقيبة مليئة بالأحجار.

في البداية، كان يتهرب من الأعمال الشاقة، يقنع نفسه بأن هناك من يمكنه القيام بها بدلاً منه.

كلما سمع عن مهمة تتطلب جهدًا، كان يتظاهر بالانشغال أو يختلق الأعذار.
الأمور الصغيرة التي كانت تشغل جيرانه مثل تصليح الأشياء البسيطة أو مساعدة الآخرين، كان يراها كأنها جبال شاهقة يصعب تسلقها.

تدريجيًا، بدأت دائرة الهروب تتسع.

لم يعد يتهرب فقط من الأعمال الشاقة، بل حتى من أبسط اللقاءات الاجتماعية.
خاف أن يسأله أحدهم عن مساعدة، فتجنب الخروج من منزله.

الحياة بين الناس بدت له كمعركة لا يرغب في خوضها.

اختار أن يكون كالظل، يمر دون أن يشعر به أحد.

الجيران أصبحوا غرباء، والشارع تحول إلى ميدان لا يجرؤ على السير فيه.

وبينما العالم بالخارج كان يتحرك بسرعة الضوء، كان هو يغرق في دوامة من الكسل والخمول.

الأيام مرت، وكل يوم كان يشعر وكأن طاقته تتبخر مثل الماء الذي يختفي تحت شمس حارقة.

جسده أصبح ثقيلاً وكأنه يحمل أثقالاً غير مرئية، وروحه انطفأت كشمعة صغيرة تركت في مهب الريح.

لكن في لحظة ما، وبدون سابق إنذار، أدرك الحقيقة.

رأى نفسه منعزلًا، بلا إنجازات، بلا روابط حقيقية مع الناس.

تيقن أن الهروب لم يكن يحميه، بل كان يسلبه الحياة.

كان كمن يحاول الهروب من المطر ليتجنب البلل، لكنه وجد نفسه في بحر لا نهاية له.

قرر أن يقلب الصفحة.

في تلك اللحظة، شعر وكأن العالم من حوله يفتح أبوابه من جديد.

خرج إلى الشارع للمرة الأولى بعد مدة طويلة، واستقبلته الرياح كما لو كانت تهب لتحمل عنه أعباء الماضي.

أدرك حينها أن الحياة ليست بالهرب منها، بل في مواجهتها بكل تحدياتها.

فكان قراره بالعودة إلى الواقع هو أول خطوة نحو استعادة نفسه التي ضاعت في دوامة الكسل.

وكأنك كنت مجرد محطة وقود.

كان دائماً ما يوصف بأنه "بتاع مصلحته"، يعيش حياته وكأن العالم كله يدور حوله فقط.

عندما يحتاج شيئاً، تجد هاتفك يرن كل دقيقة.

تفتح الشاشة فتراه، رسائل متتابعة كأنها صفارات إنذار حرب.

ولو كان الأمر يتطلب حضورك الشخصي، تجده يقف على بابك بسرعة لينقلك بسيارته او المواصلات.

هو النوع الذي، عندما يحتاجك، تشعر وكأنك المنقذ الشخصي له.

لكن عندما تهدأ العاصفة، تختفي الأضواء وتُطفأ الاتصالات.

تصير وكأنك لم تكن.

تجلس تنتظر أن تسمع صوته مرة أخرى، ولكن يبدو وكأن الأرض قد ابتلعته. يمر يوم، أسبوع، شهر... سنة كاملة دون أي إشارة منه، وكأنك كنت مجرد محطة وقود ليمر بها في رحلته.

في يوم من الأيام، جلس مع نفسه وهو يتفكر في مسيرة حياته، وكأن أخلاقه الحقيقية بدأت تنجلي بعد أن كانت مغطاة بغبار الأنانية.

أدرك حينها أن هذا الأسلوب الذي كان يتبعه مع الناس، وكأنه يتعامل معهم على أنهم مجرد أدوات، ليس فقط خطأ، بل يتنافى مع الإنسانية نفسها.

شعر وكأن لديه عقدة اتصال مقطوعة مع الله أيضًا، وكأن أعماله كانت تجعل السماوات تضعه في وضع "عدم الإزعاج".

كان مثل تلك البرمجيات التي تعمل فقط عند الحاجة لها، لكن بعد انتهاء الاستخدام تُغلق وتُنسى.

هو من هؤلاء الذين يذهبون لحلق الشعر فقط عندما يصبح الرأس كحقل مهمل، ولكن في كل مرة يقف أمام المرآة، يرى انعكاساً لشخص يحتاج لتغيير حقيقي، ليس في مظهره، بل في قلبه.

فهم أن التعامل مع الناس بناءً على المصلحة الشخصية يشبه جهاز الكمبيوتر الذي يعمل فقط عند الضغط على زر معين، لكنه يبقى خاملاً في كل الأوقات الأخرى.

أدرك أن العلاقات الإنسانية ليست قائمة على فكرة "اشحن وخذ الخدمة"، بل تحتاج إلى تواصل مستمر ومتبادل.

قرر أن يبدأ من جديد، ليس لأنه أصبح إنسانًا مختلفًا بين ليلة وضحاها، ولكن لأنه أخيرًا فهم أن الطريق الذي يسلكه مليء بالمشاكل التي ستعيقه إذا استمر بهذا الأسلوب.

وما زاد من يقينه بهذا التغيير هو عندما سمع أصدقاؤه يتحدثون وراء ظهره قائلين:

"خالد؟ آه، ده اللي بيظهر بس لما يكون محتاج حاجة".

من ذلك اليوم، بدأ في تغيير عاداته، وأصبح يتواصل مع الآخرين دون انتظار مصلحة متبادلة.

لم يعد هاتفه يرن فقط عندما يريد شيئاً.

بل صار هو من يبدأ الاتصال ليسأل عن أحوال الناس.

كانوا يضحكون بعيدًا عنه.

كان يعيش في عالمه الرقمي، حيث كانت شاشات الهواتف والحواسيب نوافذ تطل على حياة الآخرين، ولكنه لم يدرك أنها كانت تغلق نافذته على حياته الخاصة.

كان يقضي ساعات طويلة في تصفح الأخبار، متابعة التعليقات على منشوراته، والرد على أصدقائه الافتراضيين، بينما أولاده يلهون حوله وكأنه شبح لا يشعر بهم.

كان يصحو صباحًا ليغوص في بحر من المنشورات والقصص، ناسياً أن هناك من ينتظر لحظة اهتمام حقيقية منه.

زوجته كانت تقف بجواره، لكن صوت تنبيهات الهاتف كان دائمًا أعلى من صوتها.

أبناؤه كانوا يطلبون اللعب معه، لكن عيناه لم تكن ترفعان عن الشاشة.

ومع مرور الوقت، بدأ يشعر بشيء يتغير.

لم تعد ضحكات أولاده تطربه، لأنهم كانوا يضحكون بعيدًا عنه.

أصبح البيت مليئًا بأصواتهم لكن من دون حضوره.

كان يشاهدهم يكبرون بسرعة في مقاطع فيديو ملتقطة بأعين الآخرين، وكأن الزمن يخطفهم وهو غارق في عالم افتراضي.

وذات يوم، جلس على طاولة الطعام، ووجد أن أبناءه لم يعودوا يتحلقون حوله كما كانوا يفعلون.

كأنهم صاروا غرباء في بيته، تائهين في عوالمهم الخاصة تمامًا كما فعل هو. حينها شعر بأن شيئًا ما انكسر داخله.

في لحظة صمت، قرر أن يسترجع ما فاته.

بدأ يغلق هاتفه فترات طويلة، ويفتح قلبه لأولاده.

لم تكن العملية سهلة، إذ شعر وكأنه يحاول الإمساك بالرمال المتناثرة بين أصابعه، لكنه استمر في المحاولة.

وفي يوم ما، جلس بجانب ابن أخيه ونظر إليه بعينين يغمرهما الحزن والندم، وقال له:

إياك أن تنشغل عن أبنائك.

السوشيال ميديا لن تضع لقمة في فمك ولا ابتسامة في قلبك، لكنها قد تسلب منك أحلى لحظات حياتك.

كل دقيقة تقضيها بعيدًا عنهم هي دقيقة لن تعود أبدًا.

لا تتركهم ينفلتون منك كما انفلتوا مني.

الاهتمام بالأولاد لا يُشترى بالمال ولا يُقاس بعدد المنشورات أو المتابعين، هو ذهب نقي... وإن لم تعطه حقه، ستجد أن قيمته تضيع مع الزمن.

يرى العالم وكأنه سباق

ظن أن النجاح يأتي كما تنزل الأمطار فجأة، بلا مقدمات أو تحضيرات.

كان يجلس في زاوية غرفته، يحمل قلمه بين أصابعه كما لو أنه سلاح لم يعد يعرف كيف يستخدمه.

الورق أمامه، ناصع البياض، يتحداه بصمته.

تذكر كلمات أصدقائه القديمة، تلك التي لطالما رآها إضاعة للوقت.

"اقرأ بنهم وستفهم كيف تصقل موهبتك".

كانوا يتحدثون وكأنهم يعرفون سرًا مخفيًا عن النجاح، لكنه لم يهتم.

الموهبة، كما كان يظن، لا تحتاج إلى تدريب، إنها مثل شعلة تشتعل في داخلك، إما أن تكون أو لا تكون.

حتى زوجته كانت تحاول أن تقنعه.

اصبر... ابني اسمك أولًا في السوق، وكن معروفًا بما تقدم.

لكن الصبر لم يكن في قاموسه.

كان مستعجلًا، يرى في نفسه كاتبًا عبقريًا يستحق النجاح الفوري.

كان يرى العالم وكأنه سباق، وكلما ركض أسرع، اقترب أكثر من الفوز.

لم يفهم أن السرعة لا تجلب المجد.

مرت الأيام، ومرت معها فرصٌ ضائعة، حتى جاء اليوم الذي وقف فيه أمام الواقع.

الآن فقط أدرك أن الشغف بدون تعلم، مثل سفينة بدون بوصلة.

كل تلك النصائح التي تجاهلها كانت كنوزًا مغطاة بالغبار، تحتاج فقط إلى من ينفض عنها الغبار ليكشف عن بريقها.

بدأ يقرأ، كما لو كان يتعلم من جديد كيف يرى العالم.

كل كلمة كانت صفعة على وجه غروره القديم، وكل صفحة كانت مرآة تعكس له مدى جهله الذي أخفاه خلف قناع الثقة.

أدرك أن القراءة ليست للتسلية، إنه عالم مليء بالتفاصيل الدقيقة، كل كلمة تزن ألف شعور، وكل جملة تحمل خلفها بحرًا من المعاني.

عندما أمسك بالقلم مرة أخرى، لم يعد ذلك الشخص المتسرع.

باتت الكلمات تتدفق منه كما لو أنها مياه نهرٍ جارف، تأخذ معها كل ما يعترض طريقها.

صار يكتب كما لو أن حياته تعتمد على تلك الجمل، وكل سطر يكتبه يحمل ثقل التجربة، الألم، والندم.

أصبح يشعر بالكتابة وكأنها حوار بينه وبين ذاته، كل كلمة تعكس جزءًا من روحه.

النجاح لم يعد هدفه الأول، بل أصبحت الكتابة هي الهدف ذاته، وهي الرحلة التي كانت تنتظره منذ البداية.

الآن، لا يكتب ليحظى بالشهرة أو ليبهر الآخرين، بل ليُعبر عن صوته الداخلي، ذلك الصوت الذي كان يتجاهله لسنوات.

أدرك أن النجاح ليس شيئًا يُطارَد ويُكتسب بالسرعة، بل هو نتيجة تأتي فقط عندما تلتقي الموهبة بالعلم، والشغف بالصبر .

وكأنها طفلة في محل حلوى.

كانت تعشق التسوق.

ما أن يقع بصرها على شيء يلمع أو يعجبها حتى تمد يدها إلى محفظتها وتدفع دون أن تأخذ الوقت في التفكير.

كل يوم كان يتضاعف عدد الأكياس التي تحملها من الأسواق، حتى أصبح بيتها مثل معرض لماركات كثيرة، لا تُحصى.

كانت تمشي في المول وكأنها طفلة في محل حلوى، لا تعرف كلمة لا.

العطر الفاخر؟ تأخذ منه اثنين.
حقيبة جديدة؟ لا بد أن تكون موجودة في دولابها.
حذاء غالي الثمن؟ لا يكتمل اليوم بدونه.

لكن حياتها كانت تتلاشى تحت وطأة الكماليات التي لم تكن تترك لها وقتًا لتستمتع بما تمتلك حقًا.
كأنها عطشانة تشرب من بحر مالح، كلما شربت منه زاد عطشها أكثر.

في أحد الأيام، بينما كانت تضع عينها على قطعة مجوهرات لامعة، التقت بصديقتها.
نظرت إليها نظرة مليئة بالقلق وقالت:

كل هذه مشتريات! ألا تتعبين من هذا الإسراف؟

ابتسمت ابتسامة باهتة وقالت:

لا أستطيع المقاومة، كل شيء يعجبني.

توقفت لحظة ثم قالت:

تعرفين أن الله يقول في القرآن: "وكلوا واشربوا ولا تسرفوا"، صح؟

ليس فقط لأنه حرام، بل لأن الإسراف يجرّك إلى هاوية لا نهاية لها.

ما تفعلينه مثل من يركض خلف سراب، كلما اقتربت منه، ابتعد أكثر.

بدأت تفكر في كلمات صديقتها.
كانت تعرف في داخلها أن حياتها ليست ممتلئة بالسعادة رغم كل هذه الأشياء، بل كانت تشعر بنقص يزداد مع كل عملية شراء.

تابعت صديقتها:

"الأمر لا يتعلق فقط بالدين، بل بنفسك أيضًا.

كل مرة تشترين شيئًا جديدًا، تعتقدين أنه سيمنحك شعورًا بالرضا، لكن الحقيقة أن الرضا لا يُشترى.

الفراغ الداخلي لن يُملأ بالماديات، فهي مجرد متع مؤقتة.

أحيانًا، ما نحتاجه حقًا هو أن نتوقف للحظة، نستمع لصوت أرواحنا، ونعيد اكتشاف السعادة في التفاصيل البسيطة؛ كراحة هادئة أو شعور بالإنجاز ينبع من أعماقنا.

تلك الأشياء أثمن بكثير من أي شيء آخر".

نظرت إلى يديها التي كانت تمسك بالإسورة الجديدة، وأحست بشيء غريب.
كأن هذه القطعة الذهبية كانت تقيدها بدلاً من أن تزينها.
لأول مرة، شعرت أن سعادتها لا تكمن فيما تملكه بل فيما تستطيع

أن تستغنى عنه.

وفي هذه اللحظة، قررت أن تبدأ شيئًا جديدًا.
كلما رأت شيئًا يعجبها، كانت تتذكر نصيحة صديقتها وإذا ضعفت

ثبتتها وكلوا واشربوا ولا تسرفوا.
أصبحت تختار بحكمة، وتشتري فقط ما تحتاجه، وتقول لنفسها بثقة

لا، عندما تعرف أن الأمر لا يستحق.

اختارت الحرية على الإسراف، وشعرت بالسلام الداخلي

الذي طالما كانت تفتقده.

لم يكن بحاجة إلى تغييرات كبيرة

تخيل نفسك تقف عند مفترق طرق، تراقب كل شيء من حولك، وتلاحظ كم هو سهل أن تغيّر حياتك بمجرد تغيير طريقة رؤيتك للأمور.

كان يقف في ذلك المكان كمن يراقب فيلماً يعرض تفاصيل حياته، يعيد مشاهدها ببطء وكأنها مشاهد من حلم متكرر.

كل ما حوله يبدو عادياً، مكرراً، حتى أن الأشياء التي كانت في الماضي تبعث الحماس في قلبه، أصبحت الآن مجرد صور باهتة.

وفي تلك اللحظة، توقف ليفكر:

ماذا لو أنني لست بحاجة لتغيير العالم؟

ماذا لو كان كل شيء يدور حول تغيير نظرتي فقط؟.

فكرة قد تبدو بسيطة، لكنها تحمل قوة كبيرة، كأنك فجأة ترا العالم من زاوية جديدة.

بدأ بالنظر إلى المستقبل، الذي كان يراه على الدوام كتسلسل للمشاكل والتحديات التي لا تنتهي.

لكن الآن، وبعين أخرى، رأى المستقبل كصفحة بيضاء تنتظر أن يخط عليها فصولاً جديدة.

كأرض لم تُحرث بعد، تنتظر من يزرع فيها بذور الفرص.

أدرك حينها أن كل تحدٍ هو فرصة بحد ذاته، وأن النظر إلى الأمور بعين مختلفة يغير كل شيء.

ثم نظر إلى أطفاله، الذين كانوا بالنسبة له مجرد مسؤوليات عالقة

في روتين الحياة.

لكنه الآن رآهم كمفاجآت متفردة، كما لو كانوا قطعاً من الذهب، كل واحدة منهم تشكل جزءاً من منجم كبير.

هؤلاء ليسوا فقط أبناء، بل هم أفكار تنتظر أن تتجلى للعالم، وكأنهم قصص لم ترو بعد.

حتى علاقته بخالقه تغيّرت في تلك اللحظة.

كانت تبدو له كأحد الالتزامات الثقيلة التي يجب عليه أن يتحملها، لكنه الآن رأى فيها ملجأً حقيقياً.

كمن يجد ظل شجرة بعد يوم حار.

كانت العلاقة بينه وبين الله لا تتعدىَ أكثر من أنها مجرد واجب، والآن أصبحت مصدرًا للسكينة والاطمئنان الذي يملأ قلبه.

إنه التواصل الذي يمنحه القوة ليواجه أي شيء، فلا يعود يخاف شيئاً بعده.

ثم نظر إلى العمل، ذلك الشيء الذي كان يشعر تجاهه كمن يقف أمام جدار لا يمكن تجاوزه.

لكنه أدرك فجأة أن العمل ليس فقط وسيلة للعيش، بل هو ميدان للتحدي والاكتشاف، كما لو كان ملعبًا كبيرًا مليئًا بالتحديات التي تنتظره ليخوضها.
أصبحت تفاصيل اليوميات مليئة بالفرص الصغيرة التي يمكن أن تحول الملل إلى متعة، والروتين إلى تجربة جديدة في كل يوم.

في نهاية رحلته الفكرية تلك، لم يكن بحاجة إلى تغييرات كبيرة في حياته.

كل ما كان يحتاجه هو تغيير بسيط في رؤيته للأشياء.

كل ما تغير هو "عيناه"، التي بدأت ترى ما كان خفيًا عن ناظريه.

تلك هي القوة الحقيقية:

القدرة على رؤية الجمال في التفاصيل التي لم يكن ينتبه إليها.

فعلمَ أن كل شيء من حوله أصبح مختلفاً ليس لأنه تغير، بل لأنه بدأ يرى العالم كما يجب أن يُرى.

اللي بيننا أكبر من كل الحسابات.

كانت هناك صديقتان جمعتهما الحياة بمواقفها المختلفة، وكانت إحداهما تمر بمرحلة صعبة، حيث تكاثرت عليها الديون حتى شعرت أنها تغرق

في بحر بلا شاطئ.

لجأت لصديقتها، التي لم تتردد لحظة في مد يد العون، وأعارتها ما كانت تحتاجه لتجاوز تلك الأزمة.

ومع مرور الوقت، لم تتحسن الأحوال كما كان متوقعًا، بل ازدادت الأمور تعقيدًا. شعرت صاحبة الديون بأنها عبء ثقيل على صديقتها، وبدأت تتجنب الحديث معها خشية أن تفتح موضوع المال الذي لم تستطع سداده.

لكن الصديقة لم تكن من النوع الذي ينسى العِشرة أو يُثقل كاهل الآخر

بتفاصيل الحياة.

بدون أن تنتظر كلمة، تحملت عنها كل تلك الديون وكأنها نصيبها من متاعب الدنيا، لم تذكرها بأصل الدين أو تفكر في استعجال السداد.

كانت تواسيها بصدق، وتُظهر لها أن المواقف الصعبة لا تزيد الأصدقاء إلا قرباً. لم تكن فقط تقف بجانبها، بل كانت تدفعها للأمام، كمن يزرع بذور الأمل في أرض عطشى، ويسقيها بكلمات مطمئنة.

مر الوقت، واستعادت صاحبة الديون أنفاسها بعد كل ذلك العناء.

أدركت حينها أن تلك الصديقة لم تكن مجرد رفيقة طريق، بل كانت كالنسمة التي تهب في أوقات الشدة، تروي القلب وتعيد إليه الحياة.

شعرت وكأنها أمام إنسان ليس من هذا العالم، بل ملاك يسير بخطوات ثابتة على الأرض، لا يبحث عن الشكر، بل يسعى ليجعل من الحياة مكانًا أرحب وأجمل.

قالت لها في لحظة امتنان:

أنتِ مش مجرد صديقة، أنتِ حكاية وفاء نادرة.

ردت عليها بابتسامة هادئة:

اللي بيننا أكبر من كل الحسابات، والصداقة الحقيقية تظهر لما الظروف تتبدل.

انتقوا أصدقاءكم بعناية، فالصديق الحقيقي هو من يقف بجانبك عندما تعصف بك الحياة، من يكون السند في وقت الحاجة والضوء في لحظات العتمة.

وكما رأيتم من صديقتي، فقد كانت رمزًا للشهامة والوفاء، لم تتردد يومًا في التضحية من أجلي، ولم تجعلني أشعر للحظة أنني وحيدة في معركتي.

إنها ليست مجرد صديقة، بل كانت بلسمًا لجروحي.

فابحثوا عن الأصدقاء الذين يُظهرون معدنهم الأصيل عند الشدة، والذين لا يتخلون عنكم عندما يتغير الزمان، لأن الصداقة الحقيقية هي التي تُبنى على المواقف، لا على الكلمات العابرة.

شعرت بأن كل شيء بات بلا معنى.

جلست تتأمل حالها وكأنها تبحث عن شيء فقدته منذ زمن.

كانت في بداية الطريق بعيدة عن الله، تائهة في دنيا المعاصي، لا تكترث كثيرًا لما يثقل كاهل روحها.

لكن في لحظة من لحظات حياتها، شعرت بشيء مختلف، كأنه نداء خفيٌّ ينبعث من قلبها يدعوها للتوبة.

فاستجابت لذلك النداء، وألقت بكل ما كان يثقل قلبها خلف ظهرها.

بدأت رحلتها مع الله بحماس عميق، تتلو القرآن بخشوع، تصلي بطمأنينة، وتجد في الدعاء راحة لنفسها.

أربع سنوات مضت وهي تعيش هذا الحال، كمن يروي قلبه بماء الإيمان الصافي. كانت تشعر بأن كل يوم هو خطوة تقربها من الله، وكل سجدة تُبعدها عن ذنوب الماضي.

لكن، ومع مرور الوقت، بدأت تتسلل إليها وساوس لم تعرف لها سببًا.

كانت تأتيها كالهمسات الخفية، تزعزع سكينتها وتثير في نفسها القلق والخوف من غضب الله.

حاولت أن تقاوم، وجاهدت نفسها بكل ما تملك، لكن شيئًا ما في داخلها تغيّر، حتى صارت تلك الوساوس لا تؤثر فيها، وكأنها اعتادت على وجودها.

لم يكن هذا الهدوء نعمة، بل كان فراغًا يعمّ قلبها.

شعرت بأن كل شيء بات بلا معنى، كأنما توقفت الحياة داخلها.

لم تعد تحس بالفرح، ولا يغمرها الحزن، وأصبحت مشاعرها تجاه أطفالها كأنها مرسومة على ورق، بلا حرارة أو حياة.

صلاتها صارت حركات تؤديها بلا شعور، والدعاء أصبح كلمات تقال دون أن تجد طريقها إلى قلبها.

وذات يوم، وبينما كانت تستمع إلى موعظة في المسجد، سمعت

قول الإمام بعد الصلاة:

"جاهدوا أنفسكم على الصلاة والتلاوة والذكر والدعاء، حتى لو لم تشعروا

الآن بالخشوع أو اللذة.

استمروا في الاستغفار والتوبة، فالذنوب قد تكون قد أغلقت القلوب.".

كانت تلك الكلمات كشرارة في ظلام حياتها، توقظ في نفسها الأمل.

بدأت تفكر، هل كانت هناك ذنوب خفية لم تتب عنها؟

هل قصرت في حق أحد أو أساءت إليه دون أن تدرك؟

قررت ألا تنتظر تغير الحال، بل أن تبدأ في السعي من جديد، وكأنها تعيد غرس الإيمان في قلبها.

عادت إلى الصلاة والتضرع، تحاول أن تتذوق معانيها، وإن لم تجد الطمأنينة الآن، فهي تثق أن الله سيرد إليها قلبها يومًا ما.

كانت تعلم أن الطريق إلى الله ليس سهلا

لكنه يستحق كل جهد

وأن العودة الحقيقية تبدأ بالصبر والمثابرة

حتى تُروى القلوب القاسية وتعود إليها الحياة من جديد.

لماذا لا يفهموني؟

كانت تجلس في ركن هادئ من المكتبة، تحيط بها الكتب والأوراق، ولكن عينها كانت تتجول بلا أي هدف، وكأنها تبحث عن شيء مفقود لا تعرفه.

شعرت بوحشة غريبة، وكأنها بجزيرة صغيرة تطفو في وسط

محيط واسع، لا يدركها فيها أحد.

كانت تفكر في صديقتها التي كانت كل حياتها، تلك الصديقة التي فقدتها بسبب سوء التفاهم، رغم كل محاولاتها للتعبير عن مشاعرها.

لماذا لا يفهموني؟

أحاول جاهدة أن أشرح لهم ما أشعر به، ولكنهم دائماً يفسّرون كلامي بطريقة خاطئة.

أشعر أنني عاجزة عن التواصل مع الآخرين، وكأن هناك جداراً يفصل بيني وبينهم.

تذكرت نصيحة معلمتها القديمة التي كانت دائماً تؤكد لها على أهمية الصبر والتسامح، وأنها قالت لها ذات مرة:

الدنيا مدرسة، وكلنا نتعلّم فيها.

قد لا تفهمين الناس في البداية، ولكن مع الصبر والتجربة ستكتسبين الحكمة، وستتعلمين كيف تتواصلين مع الآخرين بفعالية.

تذكري أن الله جميل يحب الجمال، فابتسمي للناس، وتعاملي معهم بلطف واحترام، وستجدين أن قلوبهم ستفتح لكِ.

ابتسمت وهي تتذكر كلمات معلمتها، شعرت بدفء في قلبها، وكأن شمساً صغيرة قد بدأت تشرق في حياتها.

قررت أن تتغير، وأن تحاول أن تبني علاقات جديدة مع الناس.

بدأت تتحدث مع زملائها في العمل، وتشاركهم اهتماماتهم.

في البداية، كانت تشعر بالخجل والتردد، ولكنها مع مرور الوقت اكتسبت الثقة بنفسها، وبدأت تشعر بالسعادة عندما ترى ابتسامة على وجوه من حولها.

تذكرت أيضاً نصيحة أخرى لمعلمتها، قالت فيها:

لا تعتمدي على شخص واحد فقط، فالحياة مليئة بالمفاجآت، وقد تفقدين من تحبين في أي وقت.

واسعي دائماً لتكوين صداقات جديدة، ولكن احرصي على أن تكون هذه الصداقات مبنية على الاحترام المتبادل والثقة.

فقررت أن تتوقف عن البحث عن صديقة واحدة تشبه صديقتها القديمة، وأن تقبل الناس كما هم، مع اختلافاتهم وشخصياتهم.

بدأت تشارك في الأنشطة الاجتماعية، وتتعرف على أشخاص جدد من مختلف الأوساط.

مع مرور الوقت، بدأت تشعر بتحسن كبير.

اكتسبت الكثير من الأصدقاء الجدد، وبدأت تفهم نفسها والآخرين بشكل أفضل.
تعلمت أن الحياة مليئة بالتحديات، وأن الصبر والتسامح هما مفتاح السعادة.

أدركت أن العزلة ليست حلاً، وأن السعادة الحقيقية تكمن في التواصل مع الآخرين وبناء علاقات إيجابية.

تعلمت أن تحب نفسها كما هي، وأن تقدر قيمة كل لحظة في حياتها.

وضعت لنفسها معايير جديدة، تحدد مساحتها من الزملاء قربًا أو بعدًا.

الأهم، أن تبقى شعرة الوصل مع الجميع.

اقتربت من عائلتها أكثر، واعترفت لنفسها بأن التواصل يتطلب جهدًا، وأن المؤمنة التي تخالط الناس وتصبر

أفضل بكثير من تلك التي تنزوي في الزوايا

لا تخالط زملائها من النساء ولا تصبر على عيوبهم.

حاولت إعادة الشعائر الدينية إلى حياته.

كانت الحياة تمضي في مسارها المعتاد قبل أن تنقلب رأسًا على عقب بسبب حادث مروري غيّر كل شيء.

الحادث تركه عاجزًا عن الحركة، وحبس روحه بين جدران المنزل.

منذ ذلك الحين، بدأت التغيرات تتسلل إلى شخصيته، وكأن الحادث لم يصب جسده فقط، بل امتد تأثيره إلى أعماق نفسه.

صار يشك فيمن حوله، يرى في كل كلمة أو تصرف تآمرًا ضده، وكان الاتهام الأكبر موجّهًا لشريكة حياته.

كانت اتهاماته تارة بأنها زوجة غير مبالية، وتارة أخرى بأنها تتلقى نصائح من أهلها ضده.

مع مرور الأيام، أصبحت مطالبه بوجودها الدائم إلى جانبه لا تنتهي، بل وصل به الأمر إلى القول بأن جلوسها معه أهم من أداء العبادات.

رغم كل شيء، كانت تحاول أن توازن بين حياتها العملية والبيتية، وبين تلبية طلباته المستمرة.

لكن حديثه المستمر عن الأمور التافهة، وانتقاده للآخرين، بالإضافة إلى الخلافات التي تنشب بينهما في كل حوار، كان يزيد من شعورها بالاختناق، وكأنها تسير على حبل مشدود.

في إحدى اللحظات الهادئة، جلست بمفردها تفكر فيما آل إليه حالهما.

أدركت أن الحادث لم يكن مجرد اختبار لجسده، بل لروحه ولعلاقتهما أيضًا.

كان الفراغ يلتهم أيامه ويغرقه في بحر من الشكوك والسلبية، وما تصرفاته إلا محاولة يائسة لملء تلك الفجوة التي خلّفتها الإعاقة.

بدأت تدريجيًا في اتخاذ خطوات لإخراجه من تلك العزلة.

أخذته في نزهات قصيرة، كانت تلك اللحظات أشبه باستنشاق أول نَفَس من الهواء النقي بعد غياب طويل.

وأيضًا، حاولت إعادة الشعائر الدينية إلى حياته، فكانت تحفزه على الصلاة وذكر الله، ووجدت في تلك العبادات نوعًا من السلام والسكينة يتسلل إلى قلبه.

ومع مرور الوقت، لاحظت تغييرات بسيطة في سلوكه.

أصبح أقل تشكيكًا، وأكثر استعدادًا للتفاعل بهدوء.

لم يكن الشفاء الكامل من كل تلك الجروح النفسيّة، لكن طريق الإصلاح قد بدأ بالفعل.

لم يكن الأمر سهلاً، لكنه كان يشبه السير في طريق تحفه الأشواك، ومع ذلك، كانت كل خطوة تخطوها تُبقي الأمل حيًا، وتجعل الليل أقل ظلمة، وكأنّهما يشعلان شمعة في قلب العتمة، فتتراجع الظلال قليلاً كل مرة.

قررت أن تقطع على نفسها عهداً.

مع الصخب الذي يمزق حياتها العائلية، لم تعد تجد التركيز الذي كانت تحتاجه لمواصلة دراستها، فسقطت في امتحان البكالوريا وكأن الحياة قد قررت أن تضاعف ألمها.

كانت ترى نفسها تتدمر شيئًا فشيئًا، كل يوم يمر وكأنه خطوة أخرى نحو الظلام، دون أن يمتد إليها يدٌ تنتشلها من هذه التيه.

شعرت أن لا أحد يكترث لها، وكأنها أصبحت شبحًا يتجول.

كلما حاولت أن تنهض، وجدت نفسها أسيرة الأفكار السوداوية التي تشدها نحو القاع.

تساءلت مرارًا:

ما جدوى الحياة إذا كانت الأحلام تتساقط واحدة تلو الأخرى؟

لكن الحياة ليست دائمًا كما تبدو في لحظات الضعف والانكسار.

فهي ليست إلا فصلًا من فصول العمر، قد يكون أكثرها برودة وقسوة، لكن خلفه تأتي الفصول الأخرى، تحمل في طياتها أشعة الشمس التي تذيب الجليد عن الروح.

تذكرت نصيحة أحد الحكماء الذين قرأت عنهم ذات يوم

"إن أعظم ما يبعث الطمأنينة في القلب هو ذكر الله".

وجدت نفسها تُغمض عينيها وتتمتم بكلمات تُريح نفسها المثقلة، شعرت بأن ثقلها الداخلي يخفّ ولو قليلاً.

لكن يجب أن يُرافق الذكر خطوات ملموسة، قرارات صغيرة لكنها مؤثرة.

أدركت أنها بحاجة إلى أن تُعيد النظر في حياتها بعين جديدة.

ربما لم تكن قد حققت شيئًا يُذكر حتى الآن، لكن هذا لا يعني أن النهاية قد كُتبت. عليها أن تبدأ بأبسط الأمور، كتطوير مهاراتها التي أهملتها، والاستماع إلى صوت العقل لا الانجراف وراء العواطف التي قد تأخذها إلى أمواج جديدة من الأحزان.

قررت أن تقطع على نفسها عهداً، أن تُعيد تنظيم يومها، أن تضع لنفسها أهدافًا صغيرة ولا تكترث لأحكام الآخرين.

فكرت في الالتحاق بدورات تطوير ذاتها، أن تتعلم مهارات جديدة قد تفتح لها أبوابًا غير متوقعة.

وأيقنت أن الفراغ الذي كانت تغرق فيه هو أكثر ما يؤذي الروح؛ لذلك بدأت بالابتعاد عن كل ما يملأ وقتها بالوحدة والضياع، وأن تبحث عن معنى جديد في الحياة، شيء يجعلها تشعر بأن لوجودها أثرًا وقيمة.

بدأت تتخذ خطوات للخروج من دائرة اليأس.

لقد أدركت أخيرًا أن الرحلة قد تكون شاقة، لكن لا تزال لديها القدرة على إعادة رسم مسارها، خطوة تلو الأخرى، حتى تصل إلى لحظات مضيئة تستحق أن تتعب من أجلها.

يتفننون في لفّ الحديث وتطويعه.

كانت المسألة بسيطة للوهلة الأولى؛ فهو شخصٌ يميل للصراحة والوضوح، لا يعجبه الالتفاف في الحديث أو اللوم المبطّن.

لكن الواقع كان يخالف تلك الرغبة؛ فقد وجد نفسه محاطًا بأشخاص يفضلون أن يلقوا ما في جعبتهم بطريقة ملتوية، يمررون رسائلهم الخفية بين طيات الكلام العابر، يضعون الطُعم ببراعة وينتظرون أن يُمسك به.

بدا وكأنهم يتجنبون المواجهة المباشرة معه، كمن يخشى الغوص في عمق البحر فيختار السير على حافته بدلًا من المخاطرة.

لماذا يفعلون ذلك؟ كان هذا السؤال يحيره؛ هم ليسوا من الجهّال، بل من ذوي العقول الراجحة، يعرفون ما يقولون وما يقصدون.

ومع ذلك، يتفننون في لفّ الحديث وتطويعه ليخدم رغبتهم في التعبير عن استيائهم بشكل مستتر، بدل أن يكون الحديث وجهاً لوجه، يوضحون فيه ما يعكر صفوهم.

مع مرور الوقت، أدرك أن شخصيته الصريحة والجادة قد تكون هي السبب؛ فالصراحة المطلقة تبدو أحيانًا كالسيف، حادّةً وقاطعة.

ومثلما لا يرغب البعض في التعرض لحد السكين، كانوا يهربون من التحدث إليه بصراحة خوفًا من أن يكون ردّه أكثر قسوة مما يتوقعون.

لذلك، قرر أن يخفض حدة جديته قليلاً؛ أراد أن يصبح كالشمس في شروقها، تمنح الدفء بلطف، لا تلسع بحرارتها الحارقة.

كما تبيّن له أن كثرة النقد، حتى وإن كان بحسن نية، قد تُشعر الآخرين وكأنهم يُلاحَقون من ظلّ النقد الدائم.

كان عليه أن يتعلم التوقف قليلاً عن تتبع كل صغيرة وكبيرة، أن يتغاضى عن الأخطاء البسيطة، ويقدم العذر، بل الأعذار.

وعندما كان لا بد من التعبير عن رأيه أو تقديم النصيحة، قرر أن يعتمد الرفق والحكمة؛ فالكلمات الرقيقة أشبه بماء المطر، تنعش الأرض الجافة، في حين أن النقد القاسي كرياح عاصفة قد تجرف ما تبقى من بذور الألفة.

أدرك أيضًا أن الناس جميعهم خطاؤون، وأنه مهما حاول أن يجد الكمال في تعاملاتهم، فلن يصل إلى مبتغاه.

فالعاقل هو من يعاشر الناس على طريقتهم، يتغاضى عن بعض الأخطاء، ويركز على الجوهر بدل أن يضيّع وقته في ملاحقة العيوب.

تعلم أن التعامل مع البشر يتطلب صبرًا، ورفقًا، وقدرة على التجاوز؛ فمن لم يعتد الإغضاء عن المكروه، سيبقى أسير الشكوى والتذمر.

وهكذا، قرر أن ينهج مسارًا جديدًا، يُظهر فيه الصراحة كضوء الشمس، لكن بدون حرارة تلسع، بل تدفئ وتجعل الآخرين يقتربون منه برغبتهم.

لا يعني أن نتفق جميعاً.

وقف بثيابه الرسمية ونظراته الحادة، أمام الأستاذة التي اعتاد أن يراها من بعيد في حرم الجامعة، وهي تلتزم بلباسها الشرعي ونقابها الأسود الذي يخفي ملامحها، لكن لم يستطع أن يخفي بريق عينين يشعّان بذكاء.

جاءها اليوم متردداً، لكن الفضول تملّكه لدرجة دفعته لطرح سؤاله مباشرة دون تمهيد:

سمعت أنك تتحدثين عن ذلك الكاتب، ألا ترين أنه متطرف وأفكاره غريبة؟

رفعت الأستاذة عينيها من فوق كتاب كانت تراجعه، ثم ابتسمت ابتسامة طفيفة تكاد تُرى خلف نقابها، وقالت بصوت هادئ وواثق:

بالعكس، كلامه جميل وواقعي.

ظهر الاندهاش في تعابير الشاب، فكأنه صدم بما سمع.

وقال بنبرة يختلط فيها الاستغراب

ظننتُ بما أنكِ ملتزمة ستكونين موافقة لرأيي.

أجابت الأستاذة بنبرة ملؤها الثبات، كأنها تشرح لأحد طلابها درساً:

ليس معنى أنني ملتزمة أنني أوزع الآراء بناءً على تصورات مسبقة.

الالتزام ليس قفصاً حديدياً يغلق العقل، بل بوابة مفتوحة للفهم بعمق.

أنا لا أتبنى الأفكار فقط لأنني أؤمن بها، بل أضعها في موضعها الصحيح، وأترك للحقيقة مكانها دون تزوير.

تقدمت خطوة إلى الأمام كأنها تريد أن تقرّب المعنى أكثر وقالت:

التطرف الحقيقي هو أن تحكم على شيءٍ دون أن تحاول فهمه.

أن تنسب كل شيء لما تراه أنت حقاً، وتستبعد الآراء الأخرى لمجرد أنها لا تتفق مع تصورك.

شعر الشاب للحظة وكأنها قلبت كل موازينه؛ كأنه كان يرى العالم من خلف نافذة مغلقة، والآن فتحت له الأبواب ليطل على مشهد أوسع وأعمق.

ثم أضافت الأستاذة، وهي تعيد كتابها إلى الحقيبة:

الفكر الحر لا يعني أن نتفق جميعاً، بل أن نحترم الاختلاف.

وأحياناً، الفكرة التي تبدو لك غريبة قد تكون عين الصواب، لكنك لن تدرك ذلك إلا إن تركت الباب مفتوحاً للحوار.

لا تجعل من التزامك عذراً للانغلاق، فالعقل مثل العضلة يحتاج للتحدي لينمو.

استمع لكل رأي بعين ناقدة وليس بعين متحيزة، فقد تجد في الاختلاف فرصة لاكتشاف جوانب لم تكن تراها من قبل.

وبلحظة شعر الشاب أنه تعلم درساً ليس في الأدب فقط، بل في الحياة نفسها، درساً في كيفية الإنصات بدل التصميم على الرأي، والتفكير بدل التحجّر، وكأن الكلمات التي سمعها لم تكن مجرد إجابة على سؤال، بل دعوة لأن يكون هو أيضاً منفتحاً على آفاق أوسع.

افتح عقلك للحوار واترك الأحكام المسبقة جانباً

فالحقيقة أوسع من أن تُحصر في رأي واحد.

أحياناً تكفي لحظة واحدة لتبدد ظلام سنوات

خاتمة

إلى هنا تنتهي رحلتنا مع الذين لم تكن حياتهم يوماً سهلة، لكنهم جعلوا من لحظاتهم العادية أسلحة كافحت لأجلهم.

في كل حكاية، ستجد شيئاً يشبهك؛ ربما لحظة تحدي مشابهة، أو قرار عابر ظننته في حينه بلا أهمية.

عبر صفحات هذا الكتاب، تتكرر دروس الحياة التي تتسلل بين الكلمات، كأنها شعاع شمس يتخلل أوراق شجرة متشابكة.

قد لا تأتي الحلول دائماً من كتب أو فلسفات، بل أحياناً من شخص عادي يقف بجانبك في طابور، أو من قصة تقرؤها، أو من طفل صغير، أو سجدة تسجدها والناس نيام.

فقد كانت تلك اللحظات البسيطة، التي قد تبدو عابرة، هي إضاءة لمن اختاروا أن ينظروا إليها بعين مختلفة.

اجعلها إشارة لك، واستمر في طريقك بثبات، لعل حكايتك القادمة تُروى هنا يوماً ما، بين سطور المستقبل.

إلى الذين يسيرون نحو النور، دائماً.

من هنا يبدأ الضوء.

لمراسلتي